

تفسير البحر المحيط

@ 363 @ بمن اثنان ، وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو هو ، وعلى لفظ من في أفراد هو . والمعنى : سواء اللذان هما مستخف بالليل والسارب بالنهار ، هو رجل واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار ، وليرى نصرته في الناس . قال ابن عطية : فهذا قسم واحد ، جعل ا نهار راحته . والمعنى : هذا والذي أمره كله واحد بريء من الريب ، سواء في اطلاع ا ن تعالى على الكل . ويؤيد هذا التأويل عطف السارب دون تكرار من ، ولا يأتي حذفها إلا في الشعر . وتحتمل الآية أن تتضمن ثلاثة أصناف . فالذي يسر طرف ، والذي يجهر طرف مضاد للأول ، والثالث متوسط متلون يعصي بالليل مستخفياً ويظهر البراءة بالنهار انتهى . وقيل : ومن هو مستخف بالليل بظلمته ، يريد إخفاء عمله فيه كما قال : أزورهم وسواد الليل يشفع لي . وقال :

وكم لظلام الليل عندي من يد .

والظاهر عود الضمير في له على من ، كأنه قيل لمن أسر ، ومن جهر ، ومن استخفى ، ومن سرب : معقيات . وقال ابن عباس : هو عائد على من قوله : ومن هو مستخف ، وكذلك في باقي الضمائر التي في الآية .

قال ابن عطية : والمعقيات على هذا حرس الرجل وجلوزته الذين يحفظونه ، قال : والآية على هذا في الرؤساء الكافرين . واختار هذا القول الطبري ، وهو قول عكرمة وجماعة . وقال الضحاك : هو السلطان المحرس من أمر ا ن انتهى . وحذف لا ، لا في الجواب قسم بعيد . قال المهدي : ومن جعل المعقيات الحرس فالمعنى : يحفظونه من ا ن على طنه وزعمه . وقيل : الضمير في له عائد على ا ن تعالى أي : معقيات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه ، والمعقيات على هذا الملائكة الحفظة على العباد وأعمالهم ، والحفظة لهم أيضاً . وروي فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى ا ن عليه وسلم) ، وهو قول مجاهد والنخعي . وقيل : الضمير في له عائد على الرسول صلى ا ن عليه وسلم) وإن لم يجر له ذكر قريب ، وقد جرى ذكره في قوله : { وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ } والمعنى : أن ا ن تعالى جعل لنبيه صلى ا ن عليه وسلم) حفظة من متمردي الجن والإنس . قال أبو زيد : الآية في النبي صلى ا ن عليه وسلم) نزلت في حفظ ا ن له من أربد بن قيس ، وعامر بن الطفيل ، من القصة التي سنشير إليها بعد في ذكر الصواعق . والقول الأول في عود الضمير هو الأولى الذي ينبغي أن يحمل عليه وعليه يفسر . ويقول : لما تقدم أن من أسر القول ومن جهر به ، ومن استخفى بالليل وسرب بالنهار ، مستوفي علم ا ن تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ،

ذكر أيضاً أن لذلك المذكور معقيات : جماعات من الملائكة تعقب في حفظه وكلاءه . ومعقب : وزنه مفعل ، من عقب الرجل إذا جاء على عقب الآخر ، لأن بعضهم يعقب بعضاً ، أو لأنهم يعقبون ما يتكلمون به فيكتبونه . وقال الزمخشري : والأصل معتقيات ، فأدغمت التاء في القاف كقوله : { وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ } يعني المعتذرون . ويجوز معقيات بكسر العين ، ولم يقرأ به انتهى . وهذا وهم فاحش ، لا تدغم التاء في القاف ، ولا القاف في التاء ، لا من كلمة ولا من كلمتين . وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف يدغم كل منهما في الآخر ، ولا يدغمان في غيرهما ، ولا يدغم غيرهما فيهما . وأما تشبيهه بقوله : وجاء